حفريات

حفريات الكتب

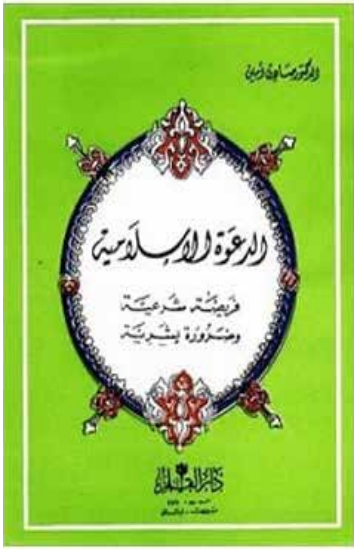

# الإخوان المسلمون والأصولية

# «الدعوة الإسلامية» لعبدالله عزام: لا إسلام بدون الإخوان

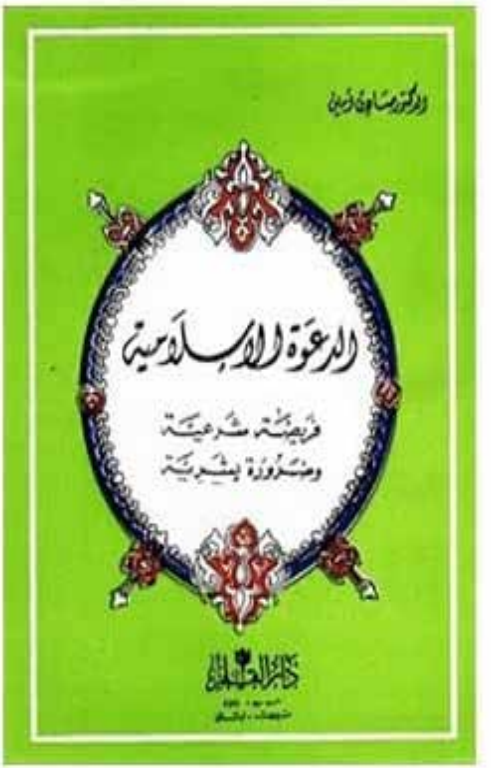

فيصل شلوف
كاتب أردني

**يعدّ كتاب «الدعوة الإسلامية، فريضة شرعية وضرورة بشرية»، للدكتور عبد الله عزام، الذي ألّفه باسم مستعار، هو»الدكتور صادق أمين»، العام ١٩٨٢، المدخل والكتاب الأول الذي يضعه المكلّف بضمّ إخواني جديد بين يدي من يريدون تجنيده في كوادرهم الإخوانية.**

## لمن اختاروا طريق الموت

ويُهدي عبد الله عزام هذا الكتاب، كما يظهر في بدايته، إلى «الباحثين عن الحقيقة، والمتطلعين للشهادة، والتوّاقين للفردوس»، ومن ثم يقول: إنّ «هذا الكتاب للعازمين على التخلص من وحل الجنس، ومن نتن المستنقع، وأوضار المادة»، وفي ذلك محاولة لتنفير عقل القارئ المسلم من مظاهر الحضارة الحديثة، من رأسمالية وشيوعية، وذلك قبل زوال الاتحاد السوفييتي.

ويجد القارئ، من بداية الكتاب، أنّه موجه لأناس اختاروا طريق الموت، و»الاستشهاد الإسلامي» سبيلاً ومنهج حياة، وتتملّكهم عزيمة راسخة لإقامة نظام ديني إخواني، تكون الشريعة فيه وسيلة لإخضاع رقاب الناس لحاكم ديني مستبد، لا يقبل من عامة الشعب إلا السمع والطاعة لولي الأمر، وهنا يستشهد عزام بقول لابن القيم مفاده: «حاجة الناس للشريعة أعظم من حاجتهم للتنفس والطعام

## يعدّ كتاب«الدعوة الإسلامية: فريضة شرعية وضرورة بشرية»لعبدالله عزام مدخل تجنيد في الكوادر الإخوانية

ومن ثم يستطرد بأنّ البشرية الآن معذبة، وتعيش عصور الشقاء والضياع، وأنّ المنقذ هو إسلام بنكهة إخوانية سلفية، وهذا أسلوب إخواني في الدعوة الدينية، يتركز على غرس فكرة في عقل الإنسان المستهدف بالدعوة، بأنّه هو الأفضل والأكمل والأحسن بين البشر، وأنّ الأمم الأخرى لا أخلاق، ولا قيم، ولا حضارة، ولا إنسانية عندهم، وبذلك يستعلي هذا الفرد استعلاءً زائفاً، ويبدأ بالنظر بازدراء واحتقار إلى الأمم والعقائد الأخرى، وأنّها مجتمعات جاهلية كافرة جاحدة لا تعرف أين تكمن مصلحتها، ولا تقدر أن تميّز الخير من الشرّ، وهذه الطريقة التضليلية في استقطاب الأتباع، تخلق أفراداً وجماعات كارهة للحضارة، والتقدم العلمي، وتريد هدم كلّ شيء في هذا العالم، ومن ثم بناء نظام يقوم على أسس دينية بحتة، يُقصى به المخالف، ويرفع من شأن الموالي، والتابع المطيع لتعليمات هذا النظام.

### ورثة الأنبياء

ويبدأ عبد الله عزام كتابه قائلاً: إنّ «الحركة الإسلامية، ويقصد بها الإخوان المسلمين، ضرورة»، ويصور للقارئ أنّ حركته هي الإسلام، وأنّ من انضوى تحت لوائها فهو مسلم بحق، أما من بقي خارج السرب، ففي دينه شكّ وريبة، وهذا المنهج الإخواني في استقطاب الأتباع، هو تطبيق عملي لفكرة سيد قطب عن مجتمع الجاهلية.

**يروج عزّام أنّ البشرية معذبة وتعيش عصور الشقاء والضياع وأنّ المنقذ هو إسلام بنكهة إخوانية سلفية**

ثـم يوحـي للإخـواني الجديـد، بأنّـه مـن ورثـة الأنبيـاء الذيـن سـاروا عـلى طريـق دعـوة النـاس لأديـان جديـدة، ولذلـك لاقـوا العنـت والمشـقة في دعوتهـم، ويحـاول أن يبـثّ الأمـل في قلبـه عـن طريـق اسـتخدام آيـة قرآنيـة، هـي: {أَلَا إِنَّ نَـصْرَ اللَّـهِ قَرِيـبٌ}، ومـن ثـم يرفـع مـن مستوى التضليـل الديـني في نفـس هـذا العضـو الجديـد الملتحـق بالحركـة، حيـث يقـول: إنّ «الدعـاة، ويقصـد بذلـك الإخـوان المسـلمين، هـم أدوات يحركهـا القـدر»؛ أي إنّهـم جنـد مـن جنـود الله، وكلّ ذلـك يـترك وهمـاً لذيـذاً في نفـس الإخـواني الجديـد، وأنّ عملـه هـذا هـو عمـل الأنبيـاء، وأنّ الله يوجـه أفعالـه وحركاتـه، وأنّ انضمامـه للجماعـة كان قـراراً إلهيـاً، وليـس قـراراً شـخصياً لهـذا العضـو الجديـد.

ومـن ثـم يَعمـد الكِتـاب لمهاجمة القوانـين، والأنظمـة، والأفـكار العالميـة، بـلا هـوادة، بأنّهـا جلبـت الشـقاء والتعاسـة للإنسـان المعـاصر، ومـن بعدهـا يهاجـم الشـعراء والفنانـين، والأدبـاء، والفلاسـفة العـرب والمسـلمين المعاصريـن، ويتهمهـم بأنّهـم جلبـوا أفـكاراً وآراء مخالفـة لعقيـدة الإخـوان ودينهـم. ويسـتطرد هنـا قائـلاً: إنّ «المـرأة وحقوقهـا، وحرياتهـا اسـتخدمت كسـلاح لتخريـب المجتمـع المسـلم، وإنّ أمثـال قاسـم أمـين وهـدى شـعراوي كانـوا أدوات صهيونيـة غربيـة لتدمـير القيـم الدينيـة عنـد المسـلمين».

> يكشف عزام في كتابه هذا عن وجه الإخوان المسلمين الحقيقي الساخطين على كلّ مظاهر الحياة الإنسانية

## الوجه الحقيقي للإخوان

يكشف عبد الله عزام عن وجه الإخوان المسلمين الحقيقي في كتابه هذا؛ حيث يظهر بجلاء أنّ الإخوان غير راضين أبداً عن كلّ مظاهر الحياة المدنية والحضارية، والثقافية، والفنية، والأدبية، والاجتماعية، التي اعتمدها العرب في بداية القرن العشرين، والتي كانت محاولة من زعماء العرب وقادتهم للتخلص من ربقة ما يقارب من ٨٠٠ عام من التخلف الحضاري والعلمي والثقافي، الذي كان سائداً منذ نهايات الخلافة العباسية، وأثناء حكم الخلافة الإسلامية العثمانية، التي لم تبنِ أيّة مدرسة أو جامعة في ديار العرب والمسلمين، طوال حكمها الذي ساد لقرابة ٧٠٠ عام؛ بل شغلت المسلمين بحروب توسعية لا طائل منها.

وفي الفصل الثاني من الكتاب، يحاول عبد الله عزام مناقشة فكرة الانضمام للأحزاب، التي كانت مرفوضة من قطاعات شعبية عربية كبيرة في ذلك الزمان (العام ١٩٨٢). لكنّه يعمد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويستخدم منها ما يحثّ على أهمية الانضمام للجماعة، وأنّ يد الله مع الجماعة، وإن كانت تلك الآيات والأحاديث تتكلم عن المجتمع الإسلامي بشكل عام، إلا أنّ عبد الله عزام استخدم إيحاءات هذه النصوص الدينية، لإيصال فكرة أنّ المقصود بالجماعة الآن؛ هم حركة

> **يطبق عزام تكتيكات سيد قطب في العمل الحركي الإخواني التي تقول بمبدأ «المخالطة مع التميز»**

الإخوان المسلمين، وأنّ ثواب من يدخل الجماعة الدخول المضمون للجنة بعد الموت.

أن يكونوا أقرب لنفسك من والديك وأهلك وأقاربك، إن قررت أن تلتحق بصفوف الجماعة».

## تكتيكات سيد قطب

يطبق عزام تكتيكات سيد قطب في العمل الحركي الإخواني؛ التي تقول بمبدأ «المخالطة مع التميز»؛ أي أن ينغمس العضو الإخواني في المجتمع، الذي يعتقد أنّه جاهلي، ويعمل على تغييره، من غير أن يستقبل، أو يتمثل أيّة أفكار، أو آراء، أو عادات من هذا المجتمع الكافر، بحسب اعتقاد العنصر الإخواني، ويكون ولاء الإخواني هنا فقط لقادة تنظيمه وعلمائه، ويقول في أحد فصول الكتاب: إنّ «علماء تنظيم الإخوان وأفراده يجب

وبعد أن يغرس عبد الله عزام فكرة أنّ الانضمام إلى جماعة إسلامية واجب وضرورة لكل مسلم، يشرع بتدمير حصون المنافسين، والخصوم من الحركات الإسلامية الأخرى، ويضع هنا ملامح ومميزات للحركة الإسلامية المخولة بتقويض دعائم أركان المجتمع الجاهلي، وإعادة المسلمين لمنهج الخلافة الدينية، ومن ثم يستعرض الحركات الإسلامية، واحدة تلو الأخرى، بدءاً من «جماعة التبليغ» التي تعتمد أسلوب الحركات التبشيرية المسيحية،

> **بعد أن يغرس فكرة أنّ الانضمام إلى الجماعة واجب على كل مسلم يشرع بتدمير حصون المنافسين**

ومن ثم يعرِّج على الدعوة السلفية، التي برأيه تقضي جميع وقتها في التعبد ودراسة الفرعيات من الفقه، ومن بعد ذلك يناقش أفكار الجماعات الصوفية التي تعنى (بقوله) بالجانب الروحي والباطني، ولا تعبأ بقضايا الناس وهمومهم، ومن ثم يعالج التنظيم الأكثر منافسة للإخوان، رغم قلة شعبيته، ألا وهو «حزب التحرير»؛ الذي أسسه تقي الدين النبهاني العام ١٩٥٣ في فلسطين، ويحاول عبد الله عزام هنا أن ينتقد أساليب وأدوات هذا الحزب، ومن ثم يتهمهم باستحلال دخول غير المسلم أو المرأة إلى مجلس شورى الخلافة، ومن ثم يستخدم الجنس للتنفير من منهجهم عن طريق اتهام أعضاء حزب التحرير بأنهم يصافحون النساء ويكلمونهنّ في مجالسهم.

ويصل عبد الله عزام، في نهاية المقارنات غير الموضوعية، في كتاب الترويج الحزبي هذا، إلى نتيجة مفادها: أنّ المنهج القويم، والطريق الصحيح برأيه هو الذي تتبعه حركته، أي جماعة الإخوان المسلمين، ويتفنّن في تمجيد الإخوان، ومدح كتابات حسن البنا، مؤسس الجماعة، إلى درجة أنه جعل الإسلام الصحيح هو منهج الإخوان، وليس سواه.

ويقول، نقلاً عن البنا، إنّ «الإخوان المسلمين، ولا فخر (والكلام

لحسن البنا هنا)، هم أصحاب الرسول، صلّى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه، وحافظو قرآنه، وناشرو دعوته، وهم (أي الإخوان) رحمة الله للعالمين»، وفي ذلك كِبر وخيلاء وغرور، لم تستطع أية جماعة إسلامية أن تدعيه لنفسها عبر العصور الإسلامية الطويلة.

ومن يقرأ كلمات حسن البنا التي يقدمها عبد الله عزام في نهاية كتابه هنا، يحس واهماً كأن نبياً جديداً ظهر بين المسلمين. ويدرك كما لو أنّ الدين الإسلامي قد تم اختطافه وحشره في قمقم جماعة الإخوان المسلمين، ومن هنا تتولّد الخشية الكبيرة من أساليب التلاعب النفسي والعقلي، التي يستخدمها هذا الكتاب لاستقطاب الشباب المسلم، وبسطاء الناس إلى معاقل وخلايا هذا التنظيم السري.

# «هاتف الخلافة».. حين يُزيّن «الإخوان» الدم في عيون المسلمين

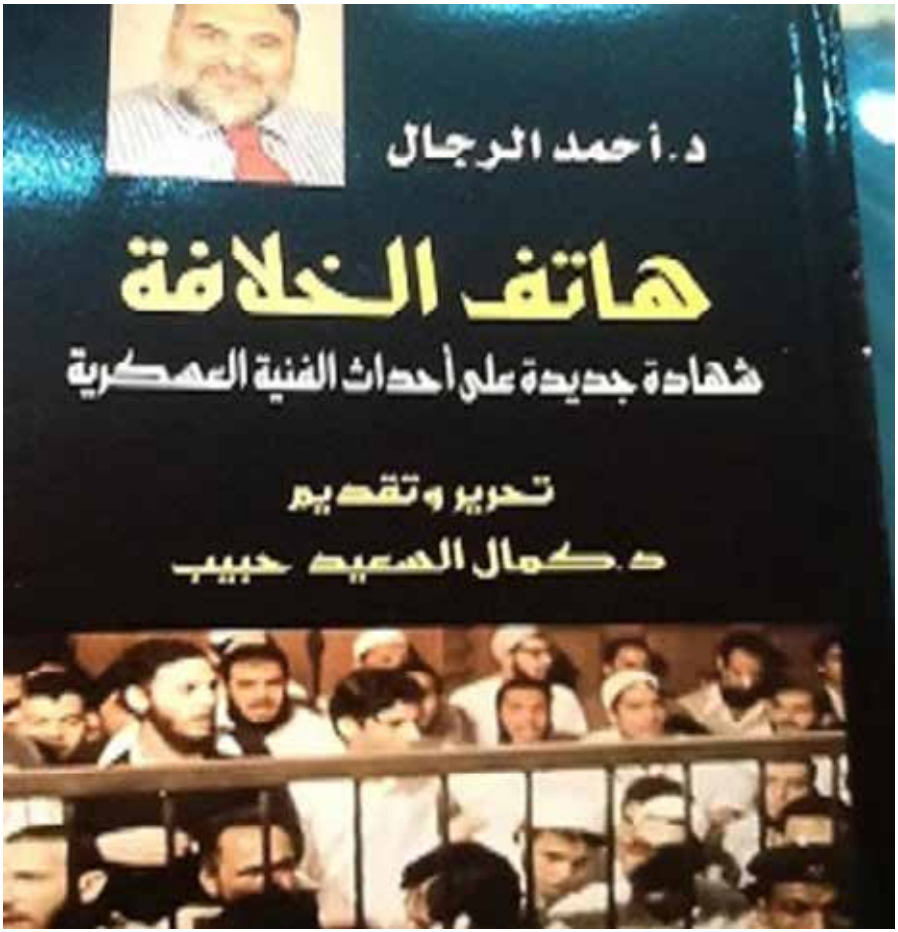

صلاح الدين حسن
كاتب مصري

**أقدم على ارتكاب المذبحة. أضحى على مسرح الجريمة. أوشك على وضع نصله على رقبة الضحية، فتلاطمت الأفكار في رأسه، وتضاربت المشاعر في وجدانه قبيل لحظة القتل، فلم يستطع أن يمارسه، لم تطاوعه نفسه، ولم تنطلق يده، فهرب من مكان التنفيذ، ليستقل سيارة أجرة، لتهرول به في اتجاه بيت الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، ليبلّغ عن تفاصيل الجريمة بأكملها لضابطين لم يأخذا كلامه في البداية على محمل الجد، فألقوه في الحبس وهما يستهزئان به، حتى جاءت الأنباء، فتمّ ترحيله إلى مقر أمن الدولة لمعرفة أبعاد القضية.**

مرتْ ٥١ عاماً على حادثة الكلية الفنية العسكرية، التي وقعت أحداثها بعد ٦ أشهر من إعلان مصر نصرها على «إسرائيل» في العام ١٩٧٣، وفتح أبواب السجون أمام الإسلاميين الذين سمح لهم «السادات» بحرية الدعوة والحركة، فإذا بمجموعة يقودها صالح سرية، تخطط للانقلاب عليه، بمحاولة اقتحام الكلية الفنية العسكرية، والاستيلاء على السلاح والذخيرة، كقدمة لتمرد مسلح، كان يدبر له قبلها بشهور.

> **الغنوشي يعتبر أنّ «الإخواني» ليس نموذجاً للمسلم الجيّد فحسب، بل هو نموذج للوطنيّ الحقيقي أيضاً**

صمت د. أحمد الرجال، أحد كوادر التنظيم، طيلة السنوات السابقة، متحملاً ما أسماه هو «اتهامات بالخيانة» من قبل أقرانه في التنظيم، ثم خرج بعد أن تجاوز الـ ٦٠ من عمره، ليكتب في النهاية شهادة وتجربة، أهم ما فيها أنه وصف بدقة لحظة إقدامه على ارتكاب المذبحة، ولحظة التراجع عنها، ووضع لكتابه عنوان «هاتف الخلافة: شهادة جديدة على أحداث الفنية العسكرية».

اندفع هؤلاء الشباب خلف هاتف يهتف بأنفسهم، وبعواطفهم الجياشة، كأنه الظل الملازم لصورة الإنسان حين يتحرك، بيد أننا أمام ظل روحي يخاطب الروح، ويداعب الأفكار، ويهتف بها أنْ قوموا لاستعادة الخلافة.

أجادَ أحدُ قادة تنظيم الجهاد السابقين د. كمال حبيب، في مقدمته للكتاب، شرحَ وتفسير معنى «الهاتف» فمرة يقول: إنه فعل نفسي ذو طبيعة حشدية، تنادي في الإنسان عوامل الإقدام، والشجاعة، والنخوة لاستعادة ما فقد، ومن ثم تثير قلقه وتدفعه للتحرك، بلا خطة، ولا سؤال عن المستقبل، ولا بحث عن الكيفية ولكنها صيحة غامضة، مجهولة، تحيط بالنفس، والروح، تدفعها إلى أقدارها حتى لو كان في ذلك حتفها أو موتها.

الهاجس الرئيسي للدكتور «الرجال» كان حماية الأنفس المعصومة، من أن تهدر في صراع وهمي مع مجتمعاتها

ومـرة أخـرى، يفتـح «حبيـب» كتـاب ابـن منظـور ليسـتخرج مـن بـين سـطوره الجوانـب النفسـية لمعـنى الهاتـف، الـذي اختـاره «الرجـال» عنـوان لكتابـه: سـمعت هاتفـا يهتـف، إذا كنـتَ تسـمع الصـوت ولا تبـصره، وهنـا ثقـل المعانـاة الـتي يتعـرض لهـا مـن يعـاني الهتـاف الملاحـق لأذنيـه، والسـاري في روحـه دون أن يبـصر مـن يهاتفـه، أو يتحـدث إليـه، إنهـا حالـة نفسـية أكـثر منهـا حقيقـة واقعـة يمكـن مناظرتهـا، أو ملامسـة مـن يلقـي بهـا في النفـس والـروح.

«الرجـال» المولـود في العـام ١٩٥٣، في محافظـة البحـيرة، شـمال القاهـرة، لأسرة فقـيرة الحـال، يبـدأ كتابـه بفصـلٍ حمـلَ عنـوان «مشروعيـة قتـل

**تحول الرجّال من الحب الشديد لعبد الناصر إلى الكراهية العنيفة مبرراً ذلك «النفس البشرية مخلوق عجيب»**

المسلم من أجل إقامة دولة الإسلام» بينما أجّلَ حديثه عن نشأته للفصل الذي يليه، يبدو عن عمد، فيشرع في بيان حرمة الدماء، ويستشهد بعشرات الآيات والأحاديث، التي تعظّمُ ذنب قتل النفس البشرية.

لم يزل ذلك الحدث، الذي ذهب ضحيته ١٣ قتيلاً، جاثياً على صدر «الرجال»، لا تفارق مخيلته مشاهده وتفاصيله فيقول: لا يستطيع المرء مهما آتاه الله من قوة وجلد أن ينفصل عن ماضيه، بكل ما يحمله هذا الماضي من أتراح وأفراح؛ إذ إنّ أحداث الماضي هي جزء أصيل من التركيبة النفسية والعصبية للإنسان وهي تاريخه الذي لا ينساه «إذا ضيّع التاريخ أبناء أمة، فأنفسهم في شرعة الحق ضيعوا» وهو ما يعبر عنه طبياً بالارتباط الانعكاسي، فهما حاول الإنسان أن ينسى ماضيه تجد صور هذا الماضي تتراقص أمام عينيه.

كان لا يزال شاباً، غضّاً، صغيراً، لم يجاوز بعد الـ٢٠ من عمره، وفي أولى خطواته لكلية الطب، حتى ناداه هاتف الخلافة، وهو الشاب المتفوق المثابر الجاد ذو الهمة العالية، ترك نفسه وعدداً من أقرانه من طلبة الكلية العلمية لمن دعاه للتنظيم، حتى جاء يوم «المذبحة».

وجد نفسه كما يقول «مندفعاً» نحو مهاجمة الحراس

> **استبشع «الرجال» القتل غيلة وغدراً، ولم يرَ من ذلك فعل شيمة الأبطال، فقرر الذهاب إلى بيت رئيس الجمهورية**

بأدوات بدائية، فقد أوكل إليه ذبح حارس كان يقف على أحد أبواب الكلية بسكين.

لم يكن «الرجال» يعرف من هو قائد التنظيم، أو حتى مسؤوله المباشر، ولكنهم قالوا له إن القائد رجل عالم وسياسي ذو علاقة بالنخبة الحاكمة، أو قريب منها، فذهب به هاتفه إلى أن ذلك الرجل، هو حسين الشافعي، أحد نواب الرئيس الراحل جمال عبدالناصر! وأنهم لديهم قوة عسكرية تابعة لهم في الجيش، وأنها هي التي ستقوم بالأمر المهم كله، بينما أدوارهم هم ستكون معاونة. اكتشف أنّ ذلك كله كان وهماً. كان مجرد هاتف، زين له فعله وطريقه، فإذا سار خطوات للأمام وجده شبحًا لا يستطيع الامساك به.

لم يتصور «الرجال» أن يقتل بشكل فردي كالمجرمين، فاستيقظ ضميره، ليزيح هاتفه أمام نفسه فتتجلى أمام ناظريه الحقيقة، أن ما كان يظنه ركب المسلمين نحو الخلافة ليس إلا هواتف وخيالات دون واقع أو حسابات، فقرر أن يبلغ عن العملية حتى يوقف ما كان يتصور أنها عملية فاشلة.

بعدما تحول إلى شاهد ملك في القضية، نهشته ألسِنة الإسلاميين طعناً وتجريحاً. لقد وصفوه بالخائن، الذي باع دينه من أجل

**تجنيد الرجّال كان على يد رجل ينتمي لجماعة «مضطهدة» في ذلك الوقت حسب قوله تسمى «جماعة الإخوان المسلمين»**

عرض زائل، بينما هو في الحقيقة قد انتفض رافضًا ما اعتبر أنه مخالف لمبادئه، وللدين الإسلامي.

إنه استبشع فعل الذبح البدائي، فتعارض مع فطرته، لم يتصور أنه يمكن أن يتحول لذباح متوحش، فقرر الرفض والإبلاغ عن الكارثة التي يسميها هو في كتابه «المذبحة» عسى أنْ يمكنه منع وقوعها.

الهاجس الرئيسي للدكتور «الرجال» كان حماية الأنفس المعصومة، من أن تهدر في صراع وهمي مع مجتمعاتها، أو حكوماتها، وهو يرى أنّ المجتمعات مسلمة، والحكومات مسلمة، وأنّ التغيير السلمي من الداخل، هو خير وأهدى سبيلاً، وأقوم قيلاً من استعجال المواجهة، واقتحام غمار الموت.

يرسل «الرجال» رسائله المملوءة رحمة وشفقه للأجيال الجديدة، «ادّخروا قوتكم لأمتكم، واصبروا الصبر الجميل، واصفحوا الصفح الجميل، ولا تستمعوا لهواتف كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا».

هذه شهادة عن حادث ضخم، وكبير من منظور مختلف، فإذا كان أحد أقرانه، وهو طلال الأنصاري، تحدث عن التنظيم تاريخياً، فإن «الرجال» تحدث عن

**كان شاغل الرجّال كيفية الاستيلاء على السلطة لإقامة شرع الله وإعلان قيام دولة الخلافة الإسلامية**

نفسه، ومشاعره، وإقدامه، وإحباطه، وهاتفه الذي أرقه، ثم لم يلبث أن اكتشف أنه كهواتف الجن، وحكايته القديمة، التي تحدث عنها «ابن أبي الدنيا»، فأفاق منها وقرر أن يطلق صيحته راجياً أن تكون إنذاراً يحُول بين وقوع الشباب في الدوامة العنيفة، ويخص الذين يندفعون نحو تنظيم «داعش» وأخواتها عسى أن يفيقوا من أوهامهم، وهواتفهم التي ليست هواتف جن وإنما هواتف شياطين الإنس، ومنازع الجناح في النفس الهائجة، الثائرة، الحدثة، الصغيرة، التي لم تعركها التجربة.

وفي تعريجه على الجذور البيئية التي شب فيها «الرجال» ندرك أن الظرفية الزمانية أثرت فيه، كما أثرت في أشباهه من الإسلاميين، الذين شب معظمهم في ستينيات القرن الماضي، والتي شهدت حملة اعتقالات ومحاكمات لمئات من الإسلاميين المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين، وبدء انحسار المد الإسلامي الذي كان قد جرف البلاد أواخر الأربعينيات من القرن الفائت، وتعاظم دور اليسار المصري وتمظهراته، التي لم يرَ هؤلاء الإسلاميون منها سوى مظاهر للعري والانحلال، ثم ختام ذلك بالهزيمة التي منيت بها البلاد في حرب يونيو ١٩٦٧.

يحكي «الرجال» البذور الأولى لتجنيده، والتي كانت على يد رجل ينتمي لجماعة «مضطهدة» في ذلك

**يقول الرجّال: دارت الدنيا بي وبدأتُ أتساءل كيف أذبح بيدي التي لم تذبح من قبل دجاجة؟**

الوقت، حسب قوله، تسمى «جماعة الإخوان المسلمين» وصفه «الرجال» بـ «الساحر في كلامه» والذي علمه الخطابة، فظل لصيقاً به وبالمسجد، حتى تم اعتقال الرجل في العام ١٩٦٥ «على ذمة تنظيم سيد قطب».

يشير «الرجال» إلى أنّ الفضل في تكوين اللبنة الأولى من ثقافته ومنهجه الحركي لهذا الرجل، الذي أشبعه وهو في الـ١٥ من عمره، حكايات عن أصحاب الأخدود، وبطولات الصحابة في الغزوات، ثم ربطها ببطولات الإخوان في فلسطين وقناة السويس.

ثم ينسحب الحديث فجأة عن جمال عبدالناصر، وكيف أنه أعدم الأحرار من أبناء الوطن، ويعني في ذلك المجموعة الإخوانية التي أعدمت في العام ١٩٥٤م ، ثم بعد ذلك سيد قطب ومن معه.

تحول من الحب الشديد لعبد الناصر إلى الكراهية العنيفة له وهنا يقول «النفس البشرية مخلوق عجيب، فبينما تنسى الكثير من المواقف، والأحداث، ولكن تكويني النفسي، ومنهجي الحركي، لا يسمحان لي بالمرور على الحوادث الجسام، لا سيما التي يكون فيها القصاص واجبًا مرورًا عابرًا، لذا قضيت السنوات التالية حتى أهل علينا عام ١٩٧١، وأنا أحلم ليل نهار بالقصاص من عبد الناصر ورجاله».

تسمع وتقرأ هذه القصة تقريباً كلما تم التفتيش عن البذرة الأولى لتجنيد هؤلاء الشبان من الإسلاميين، على تنويعاتهم كافة، وتكاد تتشابه حد التطابق، فجلهم تأثروا بحركة الاعتقالات التي تعرض لها الإخوان في تلك المرحلة، وتأثيرات من أسماهم «الرجال» في كتابه «بتوع ربنا»، وهي جملة مصرية دارجة تعني الناس الذين لهم اتصال روحاني بالله.

لقد أدت عملية الشحذ، بـ «الرجال» وأقرانه، إلى محاولات الثأر والانتقام، والاستيلاء على السلطة يقول: تتعاقب الأيام، وكل يوم تمر ساعاته، كان شاغلي هو كيفية الاستيلاء على السلطة لإقامة شرع الله وإعلان قيام دولة الخلافة الإسلامية، كنت اتهم نفسي بالتقصير أحياناً وأحدث نفسي حيناً بأنني من الذين ألهتهم الحياة الدنيا عن الجهاد في سبيل الله، لقد كانت دماء سيد قطب ورفاقه، وعبدالقادر عودة ورفاقه سوطاً يجلدني صباح مساء، والآن أقول، وقد لا أكون مغالياً، إن من دماء قطب وعودة ورفاقهم نبت تنظيم الجهاد المصري ومن ثم تقاطعت أهدافه مع ما كان يحمله بن لادن، ومن ثم تشكل تنظيم القاعدة.

يصف شعوره، عندما قال له رفيقه «كامل»، وهو يشير إلى مجند يقف حارساً خارج سور الكلية الحربية، «هيا اذبح هذا الكلب» فيقول: دارت الدنيا بي وبدأت أتساءل، كيف أذبح بيدي، التي لم تذبح من قبل دجاجة، هذا الحارس الخارج لتوه من أول حرب ينتصر فيها الجيش المصري على الصهاينة.

استبشـع «الرجـال» القتـل غيلـة وغـدراً، ولـم يـرَ مـن ذلـك فعـل شـيمة الأبطـال، فقـرر الذهـاب إلى بيـت رئيـس الجمهوريـة القريـب مـن مـكان الحادثـة.

# «سيد قطب والأصولية الإسلامية»: هل تجاوز الإخوان هذا الفكر؟

جاد الله الجباعي
كاتب سوري

**يرى الكثير من الباحثين والمتتبعين لمسيرة الأصولية الإسلامية أنّ سيد قطب قد شكّل مرحلة انعطاف راديكالي في تاريخ الفكر الأصولي الإسلامي بشكل عام، والفكر الحركي والسياسي الإخواني في مصر بشكل خاص، وذلك بتكريس القطيعة النهائية مع الفكر السلفي الإصلاحي النهضوي، وتبنّي خطاب التكفير والجهاد والعنف الحاقد في مواجهة الدولة والمجتمع تحت شعارات «الحاكمية» و«الجاهلية» و«التكفير»... التي تبنّاها قطب في مواجهة النظام الناصري والدولة القومية الناشئة آنذاك، بعد أن طور تلك الأفكار عن المودودي رغم تباين السياقين؛ الهندي والمصري.**

وقد عملت تلك الأفكار على التمهيد النظري والحركي لميلاد جيل جديد من التنظيمات والجماعات الإسلامية الجهادية التي اتخذت العنف منهجاً وطريق الاغتيالات مسلكاً وأسلمة الدولة والمجتمع وبناء الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية غاية وهدفاً، «كحركة الجهاد» و«حركة التكفير والهجرة» وغيرها فيما بعد.

لكن يبقى السؤال الذي يحتاج إلى التفسير: ما طبيعة التحول الذي أدى بسيد قطب الشاعر والناقد الأدبي

## يرى كثيرون أنّ سيد قطب شكّل مرحلة انعطاف راديكالي في تاريخ الفكر الإسلامي الأصولي والحركي

الرومانسي الذي كان تلميذاً ومريداً وثيق الصلة بالأديب المصري عباس العقاد، متنوراً على طريقة طه حسين، وفدياً من أنصار الوطنية المصرية، ومصلحاً اجتماعياً ذا نزعة يسارية واضحة، وواحداً من رجال الانتليجنسيا القومية شبه العلمانية في ذلك العصر، ليختار الانضمام إلى صفوف الإسلام السياسي ويحمل لواء حركة الإخوان المسلمين التي طالما انتقدها من قبل؟ هل هو الفشل في تحقيق الأحلام الطوباوية لذات الشاعر الرومانتيكية الحالمة؟ أم هي صدمة الحداثة الغربية التي تركت أثرها البين على فكر الكثيرين من رجالات النخبة المصرية آنذاك وقطب واحد منهم؟

وهل يعود الأثر الذي تركه في فكر وتوجهات جماعة الإخوان المسلمين وتفرعاتها اللاحقة إلى صفات خاصة في شخصية وفكر سيد قطب؟ أم إلى ملابسات المرحلة التاريخية التي عاش فيها سيد قطب والنسق الفكري الأيديولوجي السائد الذي يعلي من دور الفرد في التاريخ؟

من هذا السؤال ينطلق الباحث والمؤرخ المصري شريف يونس في كتابه «سيد قطب والأصولية الإسلامية» الصادر عن دار طيبة للدراسات والنشر في مصر في طبعة أولى وعن مكتبة الأسرة في مصر بطبعته الثانية ٢٠١٢ لدراسة الأصولية

## ما طبيعة التحول الذي أدى بسيد قطب ليختار الانضمام إلى صفوف الإسلام السياسي؟

الإسلامية من خلال حياة وتحولات أفكار واحد من أهم أعلامها في مجال الفكر الأصولي، ومحاولة تقديم رؤية موضوعية لحياة سيد قطب في مختلف مراحلها، ورؤية جامعة لأفكاره السياسية في إطار الأفكار السياسية التي عاصرها، من خلال تتبع سيرة حياته وتحولاته العاصفة ودراسة تطوره الروحي والفكري وبنية أفكاره الأخيرة التي تركت أثرها الواضح على الفكر السياسي لمختلف الجماعات والتيارات الإسلامية.

يستعرض الكتاب على مدار خمسة فصول متداخلة طفولة ونشأة سيد قطب، وخلفيته الاجتماعية والفكرية في أسرة ريفية من صغار الملّاكين الميسورين في قرية موشا القريبة من أسيوط في الصعيد المصري، ودور الأم ذات الشخصية القوية والمنحدرة من عائلة عريقة النسب في تربيته وعلو ذاتيته وطموحه، ثم انتقاله إلى المدينة لاستكمال تعليمه، وترافق ذلك مع تدهور حال الأسرة المادي واضطراره ليكون السند والمعيل لها في مرحلة مبكرة من شبابه، والتي شكلت أول صدمة اختبار لتلك الذاتية المشبعة بأحلام العظمة الرومانتيكية لإثبات ذاتها في مدينة كبيرة بدون السند الاجتماعي الذي كان يعضدها ويغذي تميزها في الريف الصغير. وهو ما «جعله يهرب من كل مظاهر الطفولة

**يستعرض الكتاب على مدار خمسة فصول متداخلة طفولة ونشأة سيد قطب وخلفيته الاجتماعية والفكرية وتحوّلاته**

واكتساب شخصيته نوعاً من التصلب والتقوقع النفسي».

ويلجأ الباحث للاستعانة بمنهج الديالكتيك الهيغلي لدراسة تحولات سيد قطب الفكرية وتطوره الروحي، والانطلاق من فرض أولي يقول بالطبيعة النخبوية للإنتليجنسيا المصرية وأفكارها الاجتماعية، ورؤيتها المتمركزة حول الذات للإصلاح الاجتماعي والسياسي والفكري، والتي تستند إلى إدراك صريح أو ضمني لوضعها كفئة اجتماعية متميزة ذات مصالح خاصة، بالإضافة لكونها معبرة عن مصالح طبقات اجتماعية أخرى، وأنّ هذه الإنتلجنسيا قد تعرضت لمفاعيل تهميش اجتماعي ضاغطة دفعت بقطاعات واسعة منها إلى تبني أيديولوجيا نخبوية انعزالية رافضة لقيم المجتمع الحديث في غمار الأزمة المزمنة لمسيرة التحديث في العالم العربي.

فرغم اتصال سيد قطب في مرحلة مبكرة من شبابه بالعقاد وانفتاحه من خلاله على عالم ثقافي جديد وثيق الصلة بالثقافة الأوروبية، سواء بالنسبة لمدارس الأدب أو الثقافة الأوربية عامة، سرعان ما اعتزل أستاذه الذي طالما كال له المديح وخاض لأجله الكثير من المعارك الأدبية، بل وهاجم العقاد نفسه بشكل غير مباشر في

كتاباتـه الصحفيـة لأنّـه لـم يحـظ منـه بالاعـتراف الـذي يطمـح إليـه، علماً أنّ العقـاد كان قـد فتـح السـبيل أمامـه لتأكيـد ذاتـه وانتشـال أسرتـه مـن ظروفهـا الماديـة الصعبـة عـن طريـق العمـل في الصحـف، إضافـة لوظيفتـه في وزارة المعـارف.

ومـا زاد مـن التمـزق النفـسي والشـعور بالاغـتراب في ذات الشـاعر الوافـد مـن ثقافـة ريفيـة أمـام ثقافـة وعـادات وأخـلاق النخبـة المدينيـة هـو عـدم تحقيقـه للمكانـة الـتي يصبـو إليهـا ويعتقـد أنّـه يسـتحقها سـواء في عالـم الأدب أو في المركـز الوظيفـي المتميـز الـذي كان يطمـح إليـه ويـرى نفسـه فيـه، رغـم كل مـا قدمـه مـن إسـهامات واقتراحـات لمحاولـة إصـلاح التعليـم.

ولعـلّ الفشـل الأكـبر في حيـاة سـيد قطـب بالتأقلـم مـع حيـاة المدينـة والـتي لفـت إليهـا الكاتـب وإن لـم تأخـذ الكثـير مـن الاهتمـام هـو فشـله في أعمـق تجاربـه الإنسـانية بعلاقتـه العاطفيـة الوحيـدة مـع واحـدة مـن بنـات المدينـة أكـثر تشربـاً لقيمهـا المتحـررة نسـبياً قياسـاً بالريـف الصعيـدي؛ «فـازداد تمزقـه الداخـلي مـا بـين الميـل إلى التأقلـم مـع مفاهيـم الحضـارة الحديثـة-في إطـار محافظ-وبـين النزعـة الصعيديـة التقليديـة في رؤيتهـا للمـرأة ومعايـير الحكـم عـلى أخلاقهـا».

تلـك العلاقـة سـتترك أثرهـا البـيّن فيمـا بعـد في موقـف قطـب الأصـولي مـن المـرأة ومـن القيـم الحديثـة والحضـارة الغربيـة كلهـا، وسـتدفعه نحـو عزلـة داخليـة صوفيـة، خاصـة بعـد تجربـة سـفره إلى الولايـات

## يقدم قطب خياره الوقوف في صف الإخوان كخيار استشهادي ويصور نفسه مشروع شهيد

المتحدة موفداً من وزارة المعارف لتطوير مناهج التعليم في بعثة أُثير حولها الكثير من الشكوك والتساؤلات؛ فمهمة «إصلاح التعلم» كانت وما زالت حتى اليوم هدفاً لحركة الإخوان للسيطرة على مناهج التعليم والثقافة في جميع البلدان العربية.

وهنا كما يشير الكاتب إلى أنّه «يبدأ تاريخ الداعية الإسلامي سيد قطب الذي حاول أن يجمع حوله الوطنيين (الحزب الوطني الجديد) والاشتراكيين (مصر الفتاة) والإخوان»، وأن يهلل للضباط الأحرار وانقلاب يوليو منتظراً تولي وزارة المعارف التي طالما كانت هدفاً له لتنفيذ برنامجه الإصلاحي الإسلامي، ويتحول بعد تردد إلى الانضمام إلى الإخوان المسلمين بعد أن خذله الضباط الأحرار، فيختار الطريق الأقرب إلى أفكاره ليهاجم السلطة الجديدة، ويتلقى حكماً بالسجن خمسة عشر عاماً في السجن الحربي ونصيباً فائضاً من التعذيب الجسدي الذي دفعه إلى الحقد حتى على الشعوب «التي تحطم من يريدون لها الخير وتصفق للمهرجين»، حسبما وصفها.

ويقدم قطب خياره الوقوف في صف الإخوان كخيار استشهادي، ويصور نفسه مشروع شهيد، ويعمل من خلال تقويمه لتجربة

الإخـوان عـلى بنـاء حـزب انقـلابي إسـلامي مـن صفـوةٍ مقاتلـةٍ عقائديـةٍ (العصبـة المؤمنـة)، ويتبـنى ويطـور أفـكار المـودودي، ويطعّمهـا بالنزعـة الحنبلية-الوهابيـة المتشـددة ليعلـن كفـر النظـام والمجتمـع، وشـمول الجاهليـة العالـم كلـه، ويعلـن مهمـة بنـاء الإسـلام مـن جديـد الـتي تقـوم عـلى مبـدأ الحاكميـة والدمـج التـام بـين الإسـلام والسياسـة، ويحتفـي في داخـل سـجنه بنـشر كتابـه «معالـم في الطريـق» الـذي سـيصبح دليـل عمـل الحركـة الإسـلامية الراديكاليـة، ليسـتقيل سـيد قطـب الداعيـة وينبعـث المقاتـل، وتصبـح العصبـة المؤمنـة أو الصفـوة أو الفئـة المختـارة هـي ذاتهـا الأمـة الإسـلامية المنـوط بهـا إقامـة النظـام الإسـلامي، أو دار الإسـلام الـتي مـن حقهـا أن تغـزو العالـم كلـه. ويخلـص مـن التوحيـد بـين الإسـلام والحاكميـة ورصد شـمول الجاهليـة للعالـم كلـه إلى تعـين مهمـة الإخـوان «بإعـادة إنشـاء الإسـلام في الأرض» والفصـل الحاسـم بـين الإخـوان والعالـم باعتبارهـم «كينونـة جديـدة» تنشـأ منفصلـة عـن جميـع التشـكيلات الوطنيـة أو القوميـة أو العالميـة، وهـو مـا أطلـق عليـه سـيد قطـب «المفاصلـة الشـعورية».

وهـذه ليسـت المـرة الأولى الـتي يهاجـم فيهـا سـيد قطـب الأحـزاب والقـوى الوطنيـة والحضـارة الغربيـة، لكنهـا الأكـثر حقـداً وعنفـاً، إذ سـبق لـه أن اعـتزل العمـل الحـزبي في حـزب الوفـد وغـيره، واتهـم النخبـة المصريـة بالتغـرب ومداهنـة الاسـتعمار وخيانـة القضايـا الوطنيـة والتآمـر عـلى الهويـة القوميـة والإسـلامية.

يخلـص المـؤرخ شريـف يونـس بعـد العـرض المسـهب والتحليـل

التفصيلي لأحداث حياة سيد قطب العاصفة وتاريخ الحركة الأصولية وأحداث التاريخ المصري التي عاصرها، وتأثر وأثر بها، إلى القول إنّ اهتمامه بدراسة حياة سيد قطب ينبع من إيمانه بأنّ «للعلوم الإنسانية، خصوصاً في بلادنا، رسالة أيديولوجية تتمثل في تحرير الإنسان من دوغما العقائد المغلقة وإخضاعها للمناقشة الفكرية وأنسنتها، فضلاً عن تحرير الإنسان من أفعال الإيمان غير العقلانية، ومن الاندفاع نحو هاوية التعصب الأعمى النابع من الرغبة في الفناء في مبدأ أو شخص أو اتجاه يفرض نفسه باعتباره اختزالاً كاملاً للحقيقة». وأنّ مواجهة سيد قطب وتحليل أفكاره علمياً لا يقلل من احترام تجربته الشخصية التي أدت به إلى تشييد هذه البنية اللاعقلانية المغلقة ودفع حياته ثمن ذلك، وفهم مجريات تطوره الروحي والفكري باعتبارها ظواهر موضوعية لها أساسها في العصر وتياراته وظروفه الاجتماعية والسياسية، وأنّه لابد من الكشف عن قوة تأثير هذا البنية الفكرية وميزاتها التي مكنتها من منافسة عقل التنوير المجرد الذي فقد إلى حد كبير حدس الواقع.

إنّ رفض الخطاب الأصولي الراديكالي لمنطق العقل والقيم والأخلاق الحديثة لا يجد تفسيره في الطبيعة الطوباوية والأخلاقية لمشروع الإسلام السياسي فحسب، بل في استخدام هذه القيم ومنطلقات العقل المجرد في تبرير وضع الدولة القومية واستبداد سلطاتها السياسية، وفشل سياساتها التنموية التي أدت إلى تهميش قطاعات واسعة من السكان ومن الانتليجنسيا خصوصاً، وسدت الأفق

أمـام الحـراك الاجتماعـي للطبقـة الوسـطى ذات الأصـول الريفيـة؛ فهـذه الفئـة الاجتماعيـة الـتي مثلـت الحامـل الاجتماعـي لأفـكار الأصوليـة الإسـلامية الراديكاليــة اللاعقلانيــة «تعــبر عــن لاعقلانيـة وضعهـا الاجتماعـي في إطـار مفاعيــل التهميــش الجاريــة، وعــن «لاعقلانيــة» عقــل التنويــر المجــرد وفشــله في إدراك أزمتهــا».

# هل تمتلك الحركات الإسلامية رؤية تختلف عن الإخوان؟

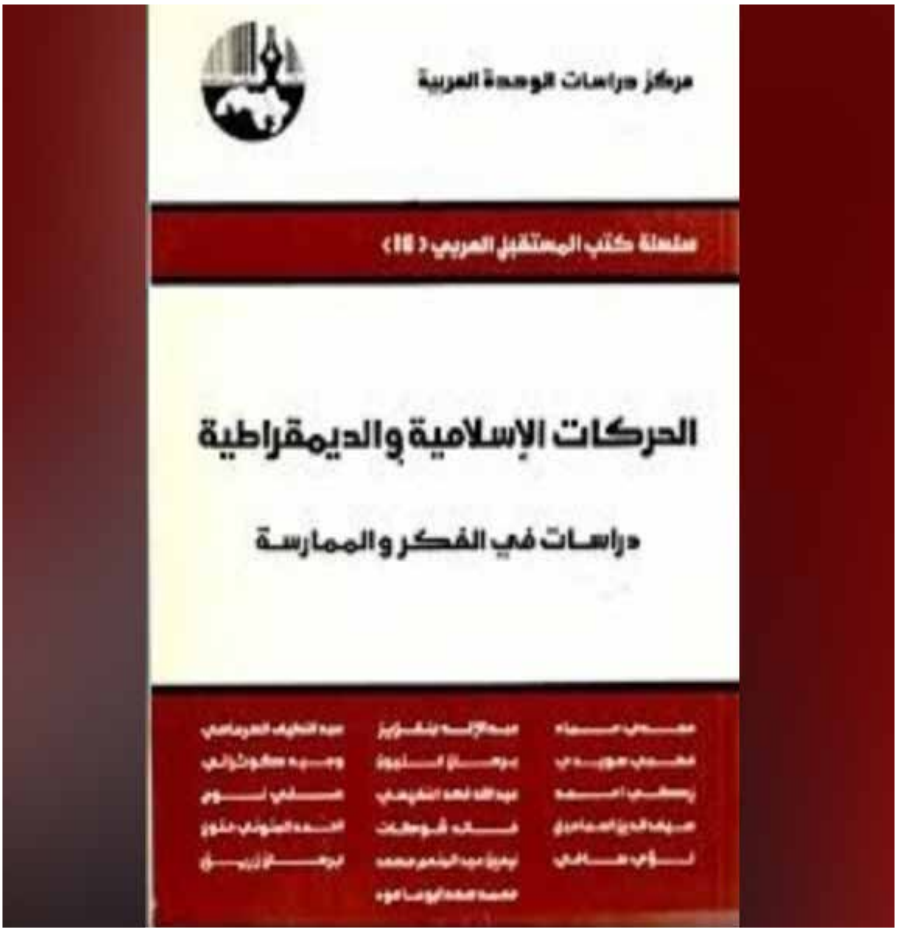

جاد الله الجباعي
كاتب سوري

**استقطبت دراسة الحركات الإسلامية منذ السبعينيات من القرن الماضي اهتمام العديد من الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، محلياً ودولياً، وتعددت الآراء حولها بتعدد إشكالياتها وملابساتها، وتنوعت المواقف منها بتنوع أسمائها وغاياتها وآليات عملها، ومدى اندراجها في الحركية الاجتماعية العامة للمجتمعات التي نشأت فيها، أو انفرادها وانفلاتها منها.**

فثمة من اعتبر الظاهرة صحوة إسلامية، وثمة من اعتبرها جزءاً من المشروع العولمي الأمريكي المتفرد بالهيمنة على العالم بعد انهيار المنظومة الاشتراكية وسواد القطب الواحد في بناء الجيوبوليتكا العالمية الجديدة ورداً على اشتداد تأثير الهيمنة الأمريكية على العالم العربي والإسلامي في آن، وهناك مَن رأى في عودة التدين وعودة الدين الإسلامي إلى قلب الصراعات الاجتماعية والسياسية تعبيراً عن فشل السياسات التنموية للدولة الحديثة «العلمانية» التي آلت إلى استبداد سياسي سافر وسلطات شمولية سدت المجال العام أمام أي مشاركة سياسية حقيقية لقوى المجتمع في الشأن العام، ودفعت باتجاه التطرف والعنف.

> **يتعذر عزل مواقف الحركات الإسلامية من الديمقراطية وفصل السياسة والدين عن الظروف التي تعيشها داخل بلدانها**

وآخرون رأوا فيها حركات اجتماعية تخضع لقانون التطور وتحمل خصوصيات المجتمعات التي نشأت فيها، تتأثر ببيئتها وتؤثر فيها، وهي بالتالي حركات غير متجانسة تختلف مرجعياتها وأيديولوجياتها وأساليب عملها عن بعضها البعض رغم تشابه الأهداف والغايات الأخيرة المتمثلة في أسلمة المجتمع وبناء الدولة الإسلامية أو استعادة دولة الخلافة. فيما اعتبرها آخرون نسخاً مستنسخة تستقي من مرجعية واحدة، أو مجرد تنويعات على النموذج الأصل تعود إلى أصل واحد هو الإخوان المسلمون في الوسط السنّي، أو الحركة السياسية الدينية في إيران أو غيرها.

تضمن كتاب «الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسات في الفكر والممارسة» الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بين دفتيه جملة من الآراء حول الظاهرة الإسلامية قدمها مجموعة من الباحثين العرب المهتمين بهذا المجال أو المتخصصين به، وتوزعت على ست عشرة دراسة بحثية تركزت في ثلاثة محاور رئيسية هي: الإسلام والسياسة، الحركات السياسية الإسلامية، المستقبل.

وتشكل تلك الدراسات بتكاملها إحاطة وافية تسهم في التعريف بالظاهرة الإسلامية وتتبع مساراتها الفكرية، وفهم إشكالياتها من خلال

وجهات نظر متعددة وانحيازات أيديولوجية ومرجعيات فكرية مختلفة يجمع بينها الميل نحو الموضوعية ودقة البحث العلمي في الدراسات التطبيقية والمقارنة. ونظراً لسعة الكتاب وتعذر إنصاف جميع المشاركين فيه في هذا الهامش المتاح، سنلجأ إلى استعراض المحاور دون التفصيل في الفصول رغم أهمية ذلك.

تركزت دراسات المحور الأول على محاولة التفريق بين علاقة الإسلام بالديمقراطية، وعلاقة المسلمين بالديمقراطية، كما عبر عنها الباحث الإسلامي فهمي هويدي، وشاركه بذلك الباحث السعودي زكي أحمد، حيث إنّ العلاقة الأولى لا تشترط أن تقوم على التنافي والتضاد بقدر ما تقوم على التمايز والخصوصية بين منهجين ومشروعين حضاريين يشتركان في بعض القيم الأساسية والمثل العليا، بينما العلاقة الثانية مسكونة بالالتباس ومثقلة بعبء التاريخ والذاكرة؛ إذ ظل الغرب في الذاكرة الإسلامية مقترناً بالقهر والاستعمار ومرادفاً للفساد الأخلاقي حيناً وللكفر أحياناً أخرى.

لذلك التبس الموقف من الديمقراطية وصار رفضها رفضاً للمشروع الغربي الذي تمثله، والذي مارس الذل والقهر بحق العرب والمسلمين. وما أن ينفك الالتباس بين التجربة الديمقراطية والسياسة الاستعمارية للدول الغربية حتى ينفك الاشتباك مع الديمقراطية، بل مع المشروع الليبرالي الغربي عموماً.

وقد ألمحَ أكثر من باحث إلى أنّ إشكالية علاقة الإسلام بالديمقراطية ليست بنت اليوم، إنما هي إشكالية

## يعالج كتاب «الحركات الإسلامية والديمقراطية» الظاهرة الإسلامية ضمن ثلاثة محاور رئيسية: الإسلام والسياسة والحركات السياسية الإسلامية والمستقبل

قديمة قدم النهضة الإسلامية، وقد حفلت مؤلفات ومواقف مفكري النهضة بالكثير من الاجتهادات المهمة في مقاربة مفهوم الديمقراطية من مفهوم الشورى الإسلامي، ولم يجدوا حرجاً من التوفيق بين المفهومين ولا حتى في استعمال اللفظ الغربي للمفهوم.

لكن الإشكالية ما تزال تطرح ويعاد طرحها مع كل أزمة أو توتر جديد في علاقة الشرق العربي والإسلامي بالغرب من جهة، ومع الأزمات والاختناقات السياسية الداخلية التي تمر بها البلدان العربية من جهة ثانية؛ فلا يمكن الحديث عن مواقف الحركات الإسلامية من الديمقراطية وفصل السياسة عن الدين دون النظر إلى الظروف التي تعيشها تلك الحركات داخل بلدانها، وإلى شكل الدولة ونوع علاقة السلطات الحاكمة بشعوبها والتي لم تقدم نموذجاً ديمقراطياً يمكن الحكم من خلاله على ديمقراطية الآخرين، سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين، كما أنّ الدول الغربية نفسها لم تقدم نموذجاً ناصعاً للديمقراطية في تعاملها مع شعوب العالم الثالث.

كما يميل العديد من المساهمين في البحث، كزكي أحمد وسيف الدين عبد الفتاح إسماعيل

> **كثير من العلمانيين والأصوليين كل منهما يفكر في الصلة بين الدين والسياسة تفكيراً لاتاريخياً**

مثلاً، إلى عدم النظر إلى الحركات الإسلامية ككتلة واحدة صماء، إنّما إلى التفريق بين تياراتها ومواقفها المختلفة من المشاركة السياسية ويرون أنّ ثمة تغيراً في مواقف العديد من تلك التيارات بحسب الظروف السياسية لبلدانها؛ فمنهم من بات يتبنى الديمقراطية صراحة، ومن تلك التيارات من لا يرفضها رفضاً قاطعاً، أو يقبلها قبولاً مشروطاً رغم إصراره على المرجعية الإسلامية والشريعة الإسلامية والدولة الإسلامية، لكنه يقبلها مقابل الديكتاتورية والحكم الفردي التسلطي على الأقل، ومنها ما يزال متصلباً عند مفهوم «الحاكمية» والدولة الدينية ويقف موقف الرفض والعداء من الديمقراطية باعتبارها ليست من الإسلام ولا تلتقي مع قيمه ومبادئه وأنّ العلاقة بينهما علاقة تعارض وتناقض دائم، ولا يعني القبول بها غير قبول المغلوب بثقافة الغالب.

ومن الضروري التمييز بين هذه الحركات السياسية المتطرفة التي باتت تحتل صورة المشهد الإسلامي بغايات إعلامية غير بريئة وبين الحركية الإسلامية بشكل عام؛ حيث أصبح الفكر الإسلامي رديفاً للاستبداد والتسلط السياسي، والنظام السياسي الإسلامي قريناً للتعصب الديني فيما كان تاريخه الطويل تاريخ التسامح والتعايش.

> **الحركة الإسلامية بفصائلها المتعددة لا تمتلك حتى اليوم رؤية علمية واستراتيجية للنظام الدولي سوى رؤية الإخوان للعالم**

ويُحمّل الباحث لؤي صافي المسؤولية في ذلك للفكر العلماني والفكر الإسلامي المعاصر على السواء؛ «فالأول قد أسقط نتائج التجربة الغربية على الفكر التاريخي الإسلامي، فيما حاول الثاني إعادة تشكيل المحتوى المعرفي الموروث باستخدام قوالب فكرية مستعارة من تجربة أخرى» كما فعل المودودي وغيره.

في حين تتطلب عملية تطوير نموذج سياسي مناسب للبنى السياسية والاجتماعية المعاصرة الجمع بين مقتضيات الانتماء الحضاري إلى الثقافة الإسلامية ومتطلبات تطوير نظام سياسي قادر على الاستجابة لتحديات الحاضر وتلبية احتياجات المستقبل.

أما في واقع الحال، كما يشير الباحثان عبد الإله بلقزيز وبرهان غليون، فقد ذهب العلمانيون في اتجاه تبني نماذج العلمنة الغربية الشاملة ووجوب إقرار نظام الدولة العلمانية وكأنّ الدول العربية تعيش في كنف الدولة الدينية على مثال دولة الكنيسة في الغرب التي أوجبت قيام نقيضها في أوربا النهضة، في حين ذهب الأصوليون للحديث عن ضرورة إخضاع الدولة للدين وإقامتها على أركان الشريعة وكأن الدولة العربية القائمة دولة علمانية حقيقية على مثال الدولة الأوروبية.

وجوهر المفارقة لدى كلا الطرفين أنّ كلاً منهما يفكر في الصلة بين الدين والسياسة تفكيراً لا تاريخياً، فلا الدولة الحديثة الناشئة بعد الاستقلال تخلت عن الشريعة الإسلامية ورعاية الدين والمؤسسات الدينية، ولا التاريخ الإسلامي شهد قيام دولة دينية تقوم على دمج المجال الديني بالمجال السياسي، إنما كانت الدولة تستخدم الدين استخداماً أيديولوجياً لإضفاء الشرعية على السلطة وتجند الفقهاء لأداء دور الشرعنة، أما هاجس علمنة الدولة عند العلمانيين فقد تضخم في مقابل تضخم هاجس أسلمة الدولة والمجتمع مع صعود الحركات الإسلاموية ومجاهرتها في إعادة إخضاع السياسي للديني.

## الحركات الإسلامية والمستقبل

يتميز القسم الثاني من الكتاب بتركزه على الجانب التطبيقي عبر مجموعة من الدراسات والتحليلات المقارنة في رصد التغيرات والتحولات في الغايات والأهداف، والوسائل والآليات العملية، التي طرأت على الفكر الإسلامي الحركي شدد الباحثون فيها بمجملهم كما في المحور السابق على ربط الظاهرة الدينية الإسلامية بالظروف الزمانية والمكانية التي نشأت فيها، وعلى مدى اتساع المجال العام أو ضيقه في البلد الذي تنشط فيه الحركة ونوع علاقتها بالسلطة الحاكمة والقوى السياسية الأخرى ضمن هذا المجال، والتركيز على تعدد تياراتها واختلاف مرجعيات تلك التيارات عن بعضها البعض، والتقليل بالتالي من حجم وتأثير التيارات العنفية والجهادية التي نشأت في ما تسميه «زمن المحنة» وما زالت تعيش ذاكرة وهواجس ذلك الزمن.

فقد حاول الباحث الكويتي عبدالله النفيسي في ما سماه «محاولة تقويمية» بعد أن أسهب في تحليل نشوء الفكر الحركي الإسلامي تلمس الفروق بين المرحلة الدعوية والنشاط الجماهيري في نشأة حركة الإخوان المسلمين والفكر التنظيمي الذي تميز به مؤسسها حسن البنا وبين المرحلة القطبية والمراحل اللاحقة في الحركة نفسها، وبينها وبين الحركات المتولدة منها، وكذلك بينها وبين حزب التحرير الذي أسسه النبهاني واتخذ العمل الفكري والتثقيفي وسيلة لنشاطه وهدفه في إقامة الدولة الإسلامية، وبينها وبين جماعة الجهاد الإسلامي وجماعة التكفير والهجرة اللتين شكلت أفكار سيد قطب أهم الأطر المرجعية والمصدرية لهما في الاستعلاء على المجتمع «مجتمع الجاهلية»وضرورة انعزاله وهجره واستبداله بمجتمع الحزب المثالي، واعتبار القبول بالعمل السياسي بمشاركة الآخرين بمثابة منح الشرعية لدولة الكفر.

كما يشير النفيسي إلى تحول حزب الدعوة العراقي الشيعي إلى تبني مقولة «ولاية الفقيه» بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ودعمها للحركات والأحزاب الإسلامية علماً أنّ الحزب قد تأسس قبلها بعامين على الأقل.

وقد عبر الباحث التونسي خالد شوكات في دراسته عن ذلك بغياب الوعي التاريخي والواقعي لدى الحركات الإسلامية الذي أوقعها في التطرف والعنف والانعزال و»الوقوع في منطق «الفرقة الناجية» المتجدد بصيغ حاضرة، على عمقه التاريخي ورسوخه في المخيال الاجتماعي؛ فالحركة الإسلامية بفصائلها

المتعددة لا تمتلك حتى اليوم رؤية علمية واستراتيجية للنظام الدولي سوى رؤية الإخوان للعالم ما قبل الحرب العالمية الثانية، وكيف لمن لا يملك تصوراً لماهية هذا الخارج ومكوناته وبرامجه أن يواجه ممانعته وتدخله؟».

فيما ذهبت دراسات أخرى أكثر تفاؤلاً إلى استخلاص المتغيرات الإيجابية في تحولات الحركة الإسلامية من خلال المراجعات النقدية والتقويم الداخلي التي تشهدها منذ أواخر الثمانينيات كما بين ذلك الباحث زكي أحمد في رصده (لتحول الحركة الإسلامية من السرية إلى العلنية، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، ومن العمل الذاتي الداخلي إلى الكسب الاجتماعي العام)، ويتلمس الباحث إيجابية ذلك التحول من خلال تغير الموقف من الرأي الآخر من المقاطعة نحو الحوار، والموقف من الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والمشاركة السياسية التي باتت تطرح بوتيرة متصاعدة ومكثفة في الخطاب الإسلامي المعاصر، وتوجه غالبية الحركات الإسلامية نحو رفض العنف والتشدد والميل نحو الاعتدال والمرونة، وقبولها التحول إلى حزب سياسي والتنازل عن العنوان الإسلامي وحذفه من اسم الحركة كاستجابة براغماتية لمتغيرات الظروف السياسية المحلية والدولية.

لكن في مقابل هذه الرؤية الإيجابية ثمة دراسات ذهبت في اتجاه مختلف ترى أنّ واقع الحركات الإسلامية ونشاطها السياسي وخلافاً لما يراه البعض من أنّه مظهر إيجابي ودليل عافية وصحة يعبر عن صحوة إسلامية، هو واقع لا يشي إلا بمستقبل أشد سوداوية من الحاضر

وبنتائـج أكـثر كارثيـة ومأسـاوية منـه؛ فقـد ذهـب الباحـث السـوري عـلي نـوح في اسـتخلاصه أنّ مـا نشـهده اليـوم مـن انتشـار المـد الديـني هـو انتكاسـة جديـدة تعـبر عـن هـروب الإنسـان العـربي مـن الواقـع المؤلـم نحـو المـاضي وليـس صحـوة بقـدر مـا هـو «حيلـة المفلـس في التفتيـش في جيـوب المـاضي»؛ لأنّ هـذه العـودة تفتقـد إلى الأسـس العقلانيـة الـتي تجعـل منهـا صحـوة حقيقيـة تجعـل الإنسـان العـربي بمسـتوى الشـعوب المتمدنـة حـتى يتمكـن مـن مشـاركة الآخريـن في صنـع الحضـارة.